

الهجرة الهلالية إلى بلاد الشرق الجزائري دوافعها وآثارها
السياسية والاجتماعية (القرن 5-9هـ/11-15م)

**The Hilali migration to eastern Algeria: its motives and
political and social effects
(5th-9th century AH/11th-15th century AD)**

د. مرزاق بومداح¹

¹ المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة (الجزائر).

merzak.boumedah@ensb.dz

تاريخ الاستلام: 2025/09/13 تاريخ القبول: 2025/09/15 تاريخ النشر: 2025/09/18

ملخص:

قامت عبر العصور عدة هجرات عربية نحو بلاد المغرب، كالفينيقيين في العصر القديم، وهذا منذ أواخر القرن 12 ق. م، كما شهد المغرب في فترة الفتوحات الإسلامية هجرات أخرى للقبائل العربية يمنية كانت أو عدنانية، وكان هذا ابتداء من القرن 1هـ/7م، غير أنه في القرن 5هـ/11م نزح نحو بلاد المغرب الإسلامي قبائل عربية أخرى ممثلة في عرب بني هلال وبني سليم العدنانية الذين استقروا بالخصوص في المغربين الأدنى والأوسط.

نحاول في هذه الدراسة التطرق إلى أهم القبائل الهلالية كقبائل الأثيغ ورياح وزغبة وغيرهم، ومراكز استقرارهم بالشرق الجزائري كقسطنطينة وسطيف والمسيلة وبلاد الزاب، مع ذكر أهم الأسباب التي دفعتهم إلى الهجرة إلى هذه المناطق، وأهم الآثار السياسية والاجتماعية التي ترتبت عنها.

كلمات مفتاحية: القبائل الهلالية؛ الشرق الجزائري، التوزيع القبلي، العصر الوسيط؛ الهجرة.

Abstract:

Throughout the ages, several Arab migrations have taken place towards the Maghreb, such as the Phoenicians in ancient times, dating back to the late 12th century BC. During the Islamic conquests, Morocco also witnessed other migrations of Arab tribes, both Yemeni and Adnanite, beginning in the 1st century AH/7th century AD. However, in the 5th century AH/11th century AD, other Arab tribes migrated to the Islamic Maghreb, represented by the Banu Hilal and Banu Sulaym Arabs, who settled primarily in the lower and central Maghreb. In this study, we examine the most important Hilali tribes, such as the Athbaj, Riyah, and Zaghba tribes, and their settlement centers in eastern Algeria, such as Constantine, Setif, M'Sila, and the Zab region. We also discuss the main reasons that drove their migration to these regions and the major political and social consequences that resulted.

Keywords: Hilali tribes; Eastern Algeria, Tribal distribution, Medieval period; Migration.

*المؤلف المرسل: د. مرزاق بومداح

1. مقدمة

تُعد الهجرة الهلالية نحو بلاد المغرب الإسلامي من أشهر الهجرات العربية خلال العصر الوسيط، وقد توجهت هذه القبائل من بني سليم وبني هلال أولا إلى بلاد إفريقية أو المغرب الأدنى، ثم إلى بلاد المغرب الأوسط ثانيا، لتشمل بعد ذلك هاته الهجرات بلاد المغرب الأقصى في عهد الدولة الموحدية.

ومن هنا يمكننا طرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى ساهمت الهجرات الهلالية في التأثير على الشرق الجزائري من الناحيتين السياسية والاجتماعية خلال

الهجرة الهلالية إلى بلاد الشرق الجزائري دوافعها وأثارها السياسية والاجتماعية

(القرن 5-9هـ/11-15م)

القرون 5-9هـ/11-15م؛ وتتفرع عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات، ومن أهمها نذكر ما يلي: ما هو واقع الشرق الجزائري قبيل الهجرة الهلالية؟ ولماذا توجهت هذه القبائل إلى هذه المناطق؟ وما هي أبرز الآثار السياسية والاجتماعية التي خلفتها الهجرة الهلالية نحو الشرق الجزائري؟

2. واقع الشرق الجزائري قبيل الهجرة الهلالية:

كانت بلاد المغرب الإسلامي في أوائل القرن 5هـ/11م بعد رحيل الفاطميين (العبيديين)^أ الشيعة إلى مصر على العموم مقسمة إلى عدة دويلات؛ ففي المغرب الأقصى قامت دولة المرابطين بالجنوب، وأخذت على عاتقها مهمة توحيد بلاد المغرب لإسلامي، وأما المغرب الأدنى والذي كان يشمل تونس وبعض مدن الشرق الجزائري، فكان تحت سيطرة بني زيري، وأما المغرب الأوسط، والذي انفصل عن الدولة الزييرية ابتداء من سنة 408هـ/1017م فكان يضم أيضا بعض مدن الشرق الجزائري كقسطنطينة والمسيلة وبجاية وجيجل وعنابة (بونة)...إلخ، وكان خاضعا لحكم بني حماد، وهم فرع من آل زيري، وكل هذه الدول مجتمعة كانت خاضعة لحكم قبيلة صنهاجة البرنسية التي دخلت في صراعات ونزاعات مبررة وحروب دموية مع قبيلة زناتة البترية (ابن عذارى، 1983، ج1، ص254؛ ابن خلدون، 1988، ج6، صص210، 2011، 279، الجيلاي، ج1، صص364-365).

^أ - لمعرفة نسب الدولة الفاطمية أنظر: (ابن الجوزي، 1992م، ج15، ص83؛ ابن حماد، د. ت. ط، صص7-30؛ ابن عذارى، 1983م، ج1، صص158-159).

الدكتور: مرزاق بومداح

ويذكر عبد الرحمن الجليلي أن دولة بني حماد كانت متقدمة عن الدولة الزيرية في إعلانها الاستقلال عن الفاطميين (العبيديين)، ورفض التشيعⁱⁱ، والدعوة إلى الخليفة العباسي، وكان ذلك سببا في نشوب العديد من الحروب والمعارك بين حماد بن بلكين وباديس، ثم مع ابنه المعز، وانتهى الأمر باستقلال حماد بن بلكين بالمغرب الأوسط في سنة 408هـ/1017م، واتخذ أشير التي تبعد حوالي 12 كلم من عين بوسيف بولاية المدينة عاصمة لدولته، ثم انتقل بعدها إلى القلعة التي تقع في شمالي شرقي المسيلة في جبل عجيسة المعروف بجبل المعاضيد حتى يتمكن من مراقبة القبائل الزناتية الثائرة ضد قبيلة صنهاجة الحاكمة. (ابن خلدون، ج6، ص 227-228؛ الجليلي، ج1، ص 363-365؛ بومداح، 2020، ص 157، 158، 167).

وقد استمرت تبعية الدولة الزيرية للفاطميين الشيعة إلى غاية تولي الأمير الزيري المعز بن باديس الحكم في ذي الحجة من عام 406هـ/ماي 1016م، حيث عمل على الاستقلال عن حكمهم، وقد تم له ذلك في عام 440هـ/1048م حيث أعلن في القيروان عودته إلى المذهب السني المالكي، والتبرؤ من المذهب الشيعي الإسماعيليⁱⁱⁱ، وعلى إثر ذلك بعث إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله (422-467هـ/1031-1075م) يطلب منه عهدا بتوليته على بلاد إفريقية والمغرب، فأرسل له الخليفة العباسي رايات سودا وخلعا سودا، وعهدا بالولاية، وقد أثار هذا الأمر غضب الحاكم الفاطمي (العبيدي) بمصر المستنصر بالله (427-487هـ/1036-1094م)، فقرر توجيه هذه القبائل العربية البدوية من بني هلال

ⁱⁱ - كانت الدولة الفاطمية (العبيدية) تدين بالمذهب الشيعي الإسماعيلي المخالف لمنهج أهل السنة والجماعة. ولزيد من التفصيل أنظر: (الأشعري، 2005م، ج1، ص 25-83؛ اليماني، 1939م، ص 4-44).

ⁱⁱⁱ - لمزيد من التفصيل عن المذهب الإسماعيلي أنظر: (ظهر، د. ت. ط، ص 31-751).

الهجرة الهلالية إلى بلاد الشرق الجزائري دوافعها وأثارها السياسية والاجتماعية

(القرن 5-9هـ/11-15م)

وبني سليم نحو بلاد المغرب انتقاما من دولة بني زيري، وذلك بناء على خطة وضعها له وزيره محمد الحسن بن علي اليازوري (ابن حماد، ص 104؛ ابن الأثير، 1997، ج 7، ص ص 639-640؛ روجي إدريس، ج 1، ص ص 247-248). وحسب رواية ابن خلدون فإنه قال لهم: "قد أعطيتكم المغرب، وملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الآبق فلا تفتقرون"، ووجه الوزير اليازوري إلى المعز بن باديس رسالته الأخيرة بقوله: "أما بعد فقد أنفذنا إليكم خيولا فحولا، وأرسلنا عليها رجالا كهولا ليقضي الله أمرا كان مفعولا" (ابن خلدون، 1988، ج 6، ص 20). ويبدولنا أن الفاطميين (بنو عبيد) كانوا عاجزين عن مجابهة الزيبيين عسكريا، الذين أعلنوا انفصالهم عن الدولة الفاطمية وإعلان ولائهم للخلافة العباسية؛ فقرروا إرسال القبائل الهلالية لتنوب عنهم في القيام بمهمة تدمير مملكة بني زيري. (بكوش، 2018، ص ص 63-64).

3. دوافع الهجرة الهلالية:

قبل الحديث عن أهم الدوافع للهجرة الهلالية نحو بلاد المغرب الإسلامي، ومنها إلى الشرق الجزائري يجدر بنا في هذا المقام إعطاء لمحة تاريخية عن أصل هذه القبائل ومواطنها الأولى.

1.3 التعريف بالقبائل الهلالية:

يرجع أصل القبائل الهلالية إلى القبائل العربية العدنانية المضربة، فبنو سليم وبنو هلال كما يذكر ابن حزم من قبيلة قيس بن عيلان، ويجتمعان في منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، وأطلق اسم القبائل الهلالية لأن قبيلة بني هلال هي التي غلب اسمها على مجموع القبائل العربية الوافدة آنذاك إلى بلاد المغرب الإسلامي. (ابن حزم، 1983، ص ص 261، 275). وتتفرع بطون قبائل بني سليم إلى فروع كثيرة ومنها: بنو دكوان وبنو هُثثة، وبنو سَمَّاك وبنو بَهْر، وبنو مَطْرود،

الدكتور: مرزاق بومداح

وبنو قُنْفُذ، ومن بني عوف بن بهثة يتفرع بنو مرداس وبنو علاق، وبنورعل وغيرهم، وأما قبائل بني هلال فهي الأخرى تتفرع إلى بطون عديدة ومنها: بنو رياح، وبنو فروة، وبنو بعجة، وبنو زغبة، والأثيج، وبنو قارع، وغيرهم. (ابن دريد، 1991، ص 307؛ ابن خلدون، 1988، ج 2، ص 367، 371؛ ابن قتيبة، 1992، ص 85).

وأما عن المواطن الأولى للقبائل الهلالية، فيذكر الهمداني أن بني سليم كانوا يقيمون بين وادي القرى بمكة المكرمة إلى خيبر شرقي المدينة المنورة إلى حد الجبلين إلى ما ينتهي إلى الحرة (الهمداني، 1884، ص 131). وما زالت القبائل الهلالية كما يذكر ابن خلدون والمقريزي تعيش حياة البداوة إلى عهد الدولة العباسية... وما زالت البعوث تجهز، والكتائب تكتب من باب الخلافة العباسية ببغداد للإيقاع بهم، وصون الحجاج عن مضرات هجومهم. ثم تحيز بنو سليم والكثير من قبيلة ربيعة بن عامر إلى القرامطة^{iv} الإسماعيلية عند ظهورهم، وصاروا لهم جندا بالبحرين وعمان. ولما تغلب شيعة ابن عبيد الله الملقبون بالفاطميين على مصر والشام، وكان القرامطة قد تغلبوا على أمصار الشام فانزعها العزيز بالله الفاطمي منهم وغلهم عليها، وردهم على أعقابهم إلى قرارهم بالبحرين، ونقل أشياعهم من العرب من بني هلال وسليم إلى مصر فأنزلهم بالصعيد وفي العدة الشرقية من بحر النيل فأقاموا

^{iv} - القرامطة: نسبة إلى حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط، وظهرت الحركة القرمطية في النصف الثاني من القرن 3هـ/9م، وكانوا يعتنقون المذهب الإسماعيلي الباطني، ويرجع أسباب الصراع بين القرامطة والفاطميين في كون القرامطة كانوا يزعمون زورا وبهتاناً أن محمد بن إسماعيل لا يزال حيا وأن عودته في صورة المهدي قد قربت، وادعى في تلك الأثناء عبيد الله وهو أول حكام الدولة الفاطمية بالمغرب الإمامة لنفسه وأنكر عودة محمد بن إسماعيل، مما أدى إلى وقوع النزاع بين القرامطة والفاطميين بالإضافة إلى أن الزعم الباطل القائل بعصمة الإمام الذي كان يتبناه الفاطميون، والذي لم يكن معروفا لدى القرامطة، وقد تمكن القرامطة من تأسيس دولة لهم في منطقة هجر والقطيف والإحساء والبحرين في سنة 286هـ/899م. أنظر: (الطبري، 1387هـ، ج 10، ص 23-27؛ طقوش، 2007م، ص 93-94).

هناك، وكان لهم إضرار بالبلاد. (المقريزي، د. ت، ج 2، ص ص 215-216؛ ابن خلدون، 1988، ج 6، ص 18).

3. 2 دوافع الهجرة الهلالية إلى الشرق الجزائري:

من أهم هذه الدوافع نذكر ما يلي:

3. 2. 1 الدوافع السياسية:

كان لتهميش القبائل العربية، وخاصة في عهد الخلافة العباسية بعد أن سيطر الفرس على دواليب الحكم، وخاصة في سنة 334هـ/946م تحت زعامة بني بويه، أن أصبح الخليفة العباسي خاضعا لهم، ثم من بعد ذلك للأتراك السلاجقة، فلجأت بعض هذه القبائل إلى الصحراء، وتوزعت بين الأقاليم البعيدة عن مركز الخلافة طلبا للرزق، وبعدا عن الصراع من أجل السلطة التي أصبحت بيد الفرس والأتراك والأكراد، فتوجهت بعض هذه القبائل إلى بلاد الشام والعراق، وبعضها الآخر إلى مصر وبرقة لتجد لها مستقرا جديدا لها يمكنها من الوجود والنفوذ وفرض نفسها بالقوة (غلاب، 2006، ج 1، ص ص 180-181).

وكانت بعض القبائل الهلالية تناصر القرامطة أعداء الدولة الفاطمية الذين دخلوا معهم في عدة حروب، فرأى حكام مصر الفاطميين (العبيديين) ضرورة التخلص منهم ففتحو أمامهم أبواب الهجرة إلى جنوب مصر بالصعيد، وأقطعوهم الأراضي، ولما كانت طبيعة هذه القبائل تميل إلى الفوضى والتمرد والسلب والنهب، فكان من الأوفق سياسيا في نظر الدولة الفاطمية أن يتخلصوا منهم ويغروهم بالتوجه إلى مملكة خصومهم من بني زيري الذين أعلنوا ولاءهم للعباسيين، فساعدهم على الهجرة إلى بلاد المغرب الإسلامي، وبالتالي حققت الدولة الفاطمية بمصر هدفان: الأول التخلص من هاته القبائل التي أحدثت الخراب والفوضى

بأراضيهم، والهدف الثاني: الانتقام من خصومهم حكام بني زيري الذي أعلنوا الولاء للعباسيين(غلاب، 2006، ج1، ص ص182).

3. . 2. 2 الدوافع الاقتصادية:

عرفت مصر في أواخر القرن 4هـ/10م وأوائل القرن 5هـ/11م العديد من الأزمات الاقتصادية، فكان حدوث الجفاف خلال هذه السنوات قد أدى إلى نقصان منسوب مياه النيل، فكانت تُترك الأرض من دون زراعة لعدم توفر المياه اللازمة للري، مما أدى إلى تعذر وجود الأقوات، وارتفاع الأسعار، وحدث العديد من المجاعات، وعن هذه الأزمة الاقتصادية يذكر المقرئزي عن مجاعة 415هـ/1024م ما نصه: " واشتد الغلاء والقحط بمصر، فبيع الخبز السميد رطلين بدرهم... وغلا الماء لتعذر علف الدواب وعدم من يستقي عليها... واشتدت المسغبة" (المقرئزي، د. ت، ج2، ص164). ومما لا شك فيه أن سوء الأوضاع الاقتصادية وانتشار المجاعة بمصر قد شجع هذه القبائل الهلالية على الهجرة وخاصة إذا علمنا أنها قبائل بدوية اشتهرت بالتنقل والترحال، وتحتاج إلى مراعى ووجود هذه المراعى يلزم منه بسط نفوذهم على أراضي واسعة، وقد ازداد دافع الهجرة بعد أن شجعهم الحاكم الفاطمي المستنصر على الرحيل إلى بلاد المغرب أرض الخيرات والغنى، وأعطى عامتهم بغيرا ودينارا لكل واحد منهم وأباح لهم عبور النيل وقال لهم: " قد أعطيتكم المغرب، وملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الآبق فلا تفتقرون". (ابن خلدون، 1988، ج6، ص20؛ بلمداني، 2014، ص123).

4. الهجرة الهلالية إلى الشرق الجزائري ومواطن استقرارها:

تذكر المصادر التاريخية أن القبائل الهلالية قررت بعد أن تركت بلاد مصر التوجه نحو بلاد إفريقية (المغرب الأدنى)؛ وكان من نتائج ذلك أنه في سنة

الهجرة الهلالية إلى بلاد الشرق الجزائري دوافعها وآثارها السياسية والاجتماعية

(القرن 5-9هـ/11-15م)

442هـ/1051م، اصطدمت هاته القبائل بالسلطة الزيرية فدارت عدة معارك بين الطرفين، كان من أهمها معركة حيدران سنة 443هـ/1051-1052م التي تعتبر بمثابة نقطة تحول سمحت بانتشار البدو العرب وسط البلاد وشمالها، وفي سنة 446هـ/1054م قامت القبائل الهلالية بمحاصرة القيروان، وشرعوا في العبث بأقاليمها وإفسادها، وبعد رحيل المعز بن باديس إلى المهديّة في سنة 449هـ/1057م قامت القبائل الهلالية بنهب المدينة فنتج عن ذلك سقوط القيروان عاصمة دولة بني زيري بعدما ارتكبوا فيها فظائع كثيرة من تقتيل وتخريب وإفساد. (الميلي، د. ت، ج2، ص 182-183).

وتقدمت القبائل الهلالية نحو بلاد المغرب الأوسط، أي إلى منطقة دولة بني حماد، وأخذت القبائل الهلالية تنساح غربا على ثلاث جهات: الأولى جهة السواحل حيث تقطن قبيلة كتامة ويضعف فيها نفوذ قبيلة صنهاجة أو يندعم، فتقدموا إليها من ناحية باجة، فانتشروا على ضواحي القالة وعنابة وقسنطينة إلى القل إلى جبال البابور، ولم نجد خبرا عن مواجهة قبيلة كتامة للزحف الهلالي، فإما أن يكون بنو عبيد (الفاطميون) كتبوا إليهم بتأييدهم، وإما أن تكون هي التي تقربت منهم نكاية في قبيلة صنهاجة. (ابن خلدون، ج6، ص ص30-31؛ سجيبي، 1981، ص ص98-99؛ بن عريب، 2021، ص79).

ويذكر لنا المليي أن الجهة الثانية للزحف الهلالي نحو بلاد المغرب الأوسط كانت في جهة الهضاب ما بين الأطلسيين التلي والصحراوي حيث توجد الدولة الحمادية، حيث تقدمت إليها القبائل الهلالية من جهة الأربس، ووصلوا في أواسط القرن 6هـ/12م إلى وادي الساحل وجبال البيبان. وأما الجهة الثالثة لانتشار القبائل الهلالية فكانت جهة الصحراء حيث تكثرت خيام قبيلة زناتة الخاضعة للحماديين، فتقدموا إليها من ناحية سببية إلى تبسة، وانتشروا جنوب الأوراس على قرى الزاب، وانتهوا

الدكتور: مرزاق بومداح

في أيام دولة الموحدين إلى مزاب وجبل راشد (جبل العمور حاليا بولاية الأغواط)، وقد تصدت قبائل زناتة للزحف الهلالي بقيادة أبي سعدى اليفرنى، ولكنهم هزموه، وسيطروا على البلاد. (الميلي، ج2، ص ص182-183).

ومن أهم القبائل الهلالية التي استوطنت بلاد الشرق الجزائري، نذكر ما يلي:

-قبيلة الأثيخ:

تعد قبيلة الأثيخ كما يذكر ابن خلدون من أوفر القبائل الهلالية عددا وأكثرهم بطونا، وكان من بطونهم قبائل الضحاك وعباض ومقدم والعاصم والطيف ودريد وفيه بطنان توبة وعنز، وكرفة وغيرهم. وكان لقبائل الأثيخ جمع وقوة، وكانوا أحياء غزيرة، وقد دخلوا إلى الشرق الجزائري عبر مدينة قفصة وانتشروا بنواحي بسكرة وطبنة والمسيلة ووصلوا إلى قلعة بني حماد، واستوثق سلطانهم أكثر بعد أن خصهم الحماديون بالتحالف دون سائر القبائل العربية، فأنزلوهم في إقليم الزاب وأقطعوهم الكثير من أعماله، ويمكن القول أن مواطن الأثيخ بحيال شرق جبل الأوراس، أي بالمثلث قسنطينة-الزاب-الفضنة. وقد وقعت الفتن والحروب بين بطون قبيلة الأثيخ، فلما ملك الموحدون بلاد المغرب الإسلامي، قام يعقوب المنصور الموحي بنقل بعض بطون الأثيخ كالعاصم ومقدم الذين اشتركوا في ثورة بني غانية، ومعهم قبائل جشم إلى المغرب الأقصى، حيث أنزلوهم بلاد تامسنا ما بين سلا ومراكش، وترك قبائل عباض والضحاك بمواطنهم التي ذكرناها (ابن خلدون، 1988، ج6، ص33).

-رياح:

من أعز قبائل بني هلال وأكثرهم جمعا كما يذكر ابن خلدون، وانحدرت جماعة من هاته القبائل من نواحي باجة، وانتشروا بضواحي القالة وعنابة وقسنطينة إلى القل وجبال بابور، وانتشرت جماعة أخرى منهم عبر سببية وانتشروا بنواحي تبسة وجنوب الأوراس وقرى الزاب كالمسيلة وغيرها، ومن بطون قبيلة رياح نذكر مرداس،

الهجرة الهلالية إلى بلاد الشرق الجزائري دوافعها وآثارها السياسية والاجتماعية

(القرن 5-9هـ/11-15م)

والتي تتفرع إلى عدة أفخاذ ومنهم الذواودة، وسعيد وعامر، وقد نقل أبو يوسف يعقوب المنصور أمير دولة الموحدين قبائل رياح إلى المغرب الأقصى في المنطقة الممتدة ما بين طنجة وسلا، وقام الحفصيون باصطناع قبيلة كرفة، وهي من بطون الأثابج، فكانوا حربا على قبيلة رياح وشيعة للسلطان الحفصي. وأقطعتهم الدولة لذلك جباية الجانب الشرقي من جبل الأوراس والكثير من بلاد الزاب الشرقية حيث كانت محلاتهم الشتوية، واستمر الأمر كذلك إلى غاية ضعف الدولة الحفصية، فعاد لقبيلة رياح مكانتها وملكوا الأراضي التي استوطنتها قبيلة كرفة، على أن الذواودة وهم بطن كبير من قبيلة مرداس ظلوا حتى القرن 9هـ/15هـ في منطقة جبل الأوراس والزاب والمناطق القريبة من جبل الأوراس، كما تغلبوا على قسنطينة وبجاية، وتتميز قبائل رياح بكونهم الأكثر ظغنا في الترحال فكانت بطونهم وقبائلهم دائمة الحركة والتنقل بين الجريد إلى القيروان والزاب إلى المسيلة وإلى ورقلة، وشاركت قبائل رياح والأثابج في نهاية القرن 5هـ/11م في الهيمنة على منطقتي الزاب والحضنة، ومن الواضح أن هذه القبائل لا تزال لها بقايا ببعض المناطق من الجزائر والغالب عليها اسم حميان (ابن خلدون، ج2، ص371، ج6، صص31، 43-44؛ الطمار، 2010، ص116؛ الميلبي، د.ت، ج2، ص194؛ يلمداني، 2014، ص126).

-زغبة:

هم إخوة رياح، ومن بطونهم يزيد، حصين، عامر، مالك، عروة، وكانوا أكثر عزة وكثرة عند دخولهم بلاد المغرب، نزلوا في أول الأمر بضواحي طرابلس وقابس. ولم يزالوا على تلك الحال إلى أن غلب الموحدون على بلاد إفريقية، فلما ثار بنو غانية ضد الموحدين انضمت زغبة إلى الموحدين فانتقلوا إلى المغرب الأوسط، وامتدت مضاربهم من المسيلة شرقا إلى تلمسان غربا. (ابن خلدون، 1988، ج6، صص57، 76؛ سجيبي، 1981، صص99-100).

-العمور:

من القبائل الهلالية الملحقة بالأثبيج، وتنقسم إلى بطنين: قرة وعبد الله، ولم يكن للعمور رئاسة على أحد من بني هلال عند دخولهم بلاد المغرب لقلّة عددهم وافتراق ملتهم، وكانت مواطنهم ما بين جبال الأوراس شرقا إلى جبل راشد المضاف إليهم غربا من ناحية الحضنة والصحراء، ونظرا لقلّة عددهم فلم يكن لهم مواطن بتلول المغرب الأوسط بل كانوا أقرب إلى مواطن الفقر والصحراء. (الميلي، د. ت، ص 197؛ بن عريب، 2021، ص 81).

4. الآثار السياسية والاجتماعية للهجرة الهلالية:

مما لا شك فيه أن الزحف الهلالي نحو بلاد الشرق الجزائري كان ذا تأثير عظيم، وقد شمل جميع الميادين، وسنحاول في هذا المبحث التطرق إلى أهم الآثار السياسية والاجتماعية.

4. 1 الآثار السياسية:

من أهم الآثار السياسية نذكر ما يلي:

4. 1. 1 التخريب والفضى وانحصار القبائل البربرية في الجبال والحصون:

من الآثار السلبية للزحف الهلالي نحو بلاد الشرق الجزائري اضطراب الأحوال السياسية لدولة بني حماد، فكثرت الثورات في غرب البلاد وجنوبها بعد معركة سببية، ولما عجز الحماديون عن التصدي للهلاليين، وتم لهم السيطرة على المغرب الأوسط بعد واقعة سببية انتهت أمراء بني حماد سياسة ترويض القبائل الهلالية وذلك بالتحالف معهم تارة ورشوتهم تارة أخرى. وهذا دفعا لخطرهم وأذاهم، فقد كان الناصر بن علناس يخصص سنويا جزءا من المحصول الذي يجنيه ويقدمه للقبائل الهلالية مقابل عدم التعرض له ولعاصمته. وكذلك فعل باقي الأمراء الحماديين. (المراكشي، 2006، ص 166؛ بكوش، 2018، ص ص 67-68).

الهجرة الهلالية إلى بلاد الشرق الجزائري دوافعها وآثارها السياسية والاجتماعية

(القرن 5-9هـ/11-15م)

وقد أدت الهجرة الهلالية إلى تقلص مساحة الدولة الحمادية، واستقرار بني حماد في الناحية الشرقية من المغرب الأوسط جراء استيلاء الهلاليين على البوادي والضواحي والأرياف وانحصار القبائل البربرية بالجبال والمدن والحصون للاحتماء من خطرهم، وفي هذا يذكر ابن خلدون ما نصه: "وجاء العرب الهلاليون وغلبوا على الضواحي كل من كان بها من صنهاجة وزناتة، وتحيز فلهم إلى الحصون والمعازل، وضربت عليهم المغارم إلا ما كان ببلاد المغرب القفر مثل جبل راشد"، ويذكر ابن خلدون في موضع آخر بقوله: "فلما ملك بنو راشد هذا الجبل استوطنوه وصار حصنا لهم، ومجالاتهم في ساحة القبلة إلى أن غلبهم العرب عليها لهذا العهد، وألجئوهم إلى الجبل". (ابن خلدون، 1988، ج7، ص ص 61-64).

ولم يقتصر الأمر على اعتصام البربر بالجبال والحصون، فقد تعدى الأمر إلى الهروب إلى أعماق الصحراء، وقد أوضح لنا ابن خلدون أن قبيلة زناتة قد نزحت إلى الصحراء بقوله: "وغلب الهلاليون قبائل زناتة على جميع الضواحي وأزاحوهم عن الزاب وما إليه من بلاد إفريقية، وانشمر بنو واسين هؤلاء من بني مرين وعبد الواد وتوجين عن الزاب إلى مواطنهم بصحراء المغرب الأوسط من مصاب^٧ وجبل راشد إلى ملوية فيكيك. ثم إلى سجلماسة". (ابن خلدون، 1988، ج7، ص 84).

ومن خلال ما سبق نلاحظ أنه حدث تغيير كبير في التوزيع الجغرافي للقبائل الصنهاجية والزناتية، بحيث تخلت قبيلة صنهاجة عن مواطنها بالسهول إلى الحصون والجبال المرتفعة، وتخلت قبيلة زناتة عن مواطنها بإقليم الزاب ومصاب وجبل راشد إلى ما وراء عرق الرمل الأملس بصحراء المغرب الأوسط، والوصول حتى صحراء المغرب الأقصى، لتظهر معالم جغرافية جديدة تفصل بين مواطن قبائل العرب

^٧ - مصاب: هي بلاد ما بين صحراء إفريقية و صحراء المغرب الأوسط. (ابن خلدون، 1988، ج6، ص 29).

الدكتور: مرزاق بومداح

الهلالية وقبيلة زناتة، وأصبح يطلق على جبل راشد -بولاية الأغواط حاليا- من الاسم البربري بني راشد إلى جبال العمور نسبة إلى قبيلة العمور الهلالية، وأصبحت أرض مصاب بالجنوب الحد الجغرافي الذي يفصل مواطن القبائل الهلالية عن مجالات قبيلة زناتة بالمغرب الأوسط. (بن عريب، 2021، ص ص 88-89).

وقد بالغ ابن خلدون في ذكر التخريب الذي وقع على أيدي القبائل الهلالية فقال: "وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير، وغوروا المياه واحتطبوا الشجر وأظهروا في الأرض الفساد"، وأوضح السبب بقوله: "والسبب في ذلك أنهم أمة وحشية باستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجيلة...". (ابن خلدون، 1988، ج 1، ص 27، ج 6، ص 187). وقد ذكر لنا الميلي أن قول ابن خلدون "أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير" مبالغة أجنبية عن أسلوب التاريخ، فالإدريسي تتبع الحملة الهلالية أحسن تتبع ووصف طبنة ومقرة والمسيلة وغيرها من العمران، ولم يذكر هذه الأوصاف التي ذكرها ابن خلدون، وحمل الميلي المسؤولية عما لحق المغرب من أضرار وخراب قبيلة صنهاجة التي لم تحسن سياسة هؤلاء العرب وجرأتها عليها بما كان بين دولتيها من تنافس، واتخذ المستشرقون مبالغات بعض المؤرخين العرب سلما لثلب العرب، وصاروا يطرون البربر بعدما كانوا يقذفونهم بأشنع القذائف في العهدين الروماني والبيزنطي ومما قاله الكاتب العسكري كاريث: "كان هجوم العرب الفاتحين كالإعصار يقتلع الأشجار ويهدم المنازل، وهجوم الهلاليين كالحريق الهائل الذي يذر الأشجار والمسكن رمادا تذروه الرياح فما أبقاه الإعصار قضى عليه الحريق..." (الميلي، د. ت، ج 2، ص ص 185-186).

والحقيقة التاريخية تؤكد لنا أن بلاد المغرب الإسلامي قد شهدت أزهى عصورها مع الفتوحات الإسلامية، حيث تم تحرير البربر من قبضة الاحتلال البيزنطي

الهجرة الهلالية إلى بلاد الشرق الجزائري دوافعها وأثارها السياسية والاجتماعية

(القرن 5-9هـ/11-15م)

البغيض، واعتنقوا الدين الإسلامي الحنيف بعد أن فهموا مبادئه وأهدافه السامية القائمة على العدل والإنصاف، وتم نبذ الديانة الوثنية الشركية وتخلوا عنها، فتحرر البربر من عبودية الإنسان إلى عبودية الله سبحانه وتعالى، وشارك المغاربة المسلمون جميعا من عرب وبربر في الفتوحات الإسلامية نحو بلاد الأندلس وبلاد السودان الغربي... إلخ، وفي بناء الحضارة الإسلامية وازدهارها، وأما عن القبائل الهلالية فيمكن القول أن دخولهم إلى بلاد المغرب كان بدافع بسط نفوذهم على الأراضي الرعوية باعتبار أنهم بدو يحتاجون إلى مراعى، ومحدودية مساحة هاته المراعى فيقوم الوافد إليها بطرد من سبقه إليها، (وإن كان هذا الفعل غير جائز) فاضطر الأهالي القاطنين بالسهول إلى التراجع أمامهم، ويذكر المليي أن البربر يعلمون أن ما نتج عن هجوم القبائل الهلالية ليس ناشئا عن عداوة جنسية أو قسوة حربية، ولذلك اختلطوا بهم وأخذوا عنهم بعض العادات والتقاليد. (بلمداني، ص123، المليي، د. ت، ج2، ص187).

4. 1. 2 انتقال العاصمة الحمادية من القلعة إلى بجاية:

يرى بعض المؤرخين كابن خلدون أن من دوافع بناء مدينة بجاية، والانتقال إليها هو تخوف الأمير الحمادي الناصر بن علناس من اقتحام القبائل الهلالية لعاصمته القلعة بعد هزيمته في معركة سببية أمام الزيريين، وهذا ما حدث من قبل للمعز بن باديس بعد هزيمته في معركة حيدران. (ابن خلدون، ج6، ص27؛ ابن الأثير، 1997، ج8، ص ص202-203؛ عويس، 1991، ص100؛ بورويبة، 1977، ص ص66-67).

4. 1. 3 التحالف حسب المصلحة مع حكام بعض دول المغرب الإسلامي:

قام الأمير الزيري تميم بن المعز بالتحالف مع بعض القبائل الهلالية لما علم أن الأمير الحمادي الناصر بن علناس قد تحالف مع قبائل عدي والأثبيج الهلالية، وقامت القبائل الهلالية المتحالفة مع الأمير الزيري إلى الاتصال بإخوانهم من بني هلال الذين كانوا في صف الأمير الحمادي يقبحون تحالفهم معه، ويخوفونهم أنه إذا اشتد ساعده أنه سيهلكهم بمن معه من قبيلة زناتة، وأنه لا يستمر المقام والاستيلاء على البلاد إلا بهزيمة الأمير الحمادي، ويذكر ابن الأثير ما نصه: "فأجابهم بنو هلال إلى الموافقة على أن يهزموا بالناس، في أول حملة بين الطرفين ويكون لهم ثلث الغنيمة"، وقد أدى ذلك إلى هزيمة الناصر بن علناس في معركة سببية، وتمكنت القبائل من السيطرة على البلاد وتملكها. (ابن الأثير، 1997، ج 8، ص 201-202 ؛ دغفوس، 2005، ص 212).

وفي سنة 547هـ/1152م لما رأت القبائل الهلالية أن أمير دولة الموحدين عبد المؤمن بن علي بعد استيلائه على الدولة الحمادية يريد فتح بلاد المغرب كله رأوا أن من المصلحة أن تتفق القبائل الهلالية وتعمل على إخراج عبد المؤمن بن علي من البلاد قبل أن يقوم بطردهم من بلاد المغرب الإسلامي، فتحالفت قبائل الأثبيج وزغبة ورياح وعدي وغيرهم، بقيادة محرز بن زياد الرياحي، فلما بلغ خبرهم إلى عبد المؤمن بن علي، وكان قد رحل من بجاية إلى المغرب الأقصى فأرسل إليهم ابنه عبد الله بجيش قوامه ثلاثين ألف فارس، والتقى الجمعان بسطيف، وانتهى الأمر بهزيمة القبائل الهلالية، فأخذ عبد المؤمن بن علي منهم الأموال، ورد إليهم نسائهم وأولادهم، ودعا هاته القبائل إلى المغرب الأقصى فأكرمهم وطلب منهم أخذ نسائهم وأولادهم الذين كانوا في الحفظ والصيانة، وبذل لهم الأموال الطائلة، وكان ذلك في سنة 548هـ/1153م، وقد أدى ذلك إلى كسب ولائهم وطاعتهم للدولة

الموحدية. (ابن الأثير، 1997، ج9، ص207؛ سنجيني، 1981، ص ص119-121).

وظلت بعض القبائل الهلالية تقف موقف العداء من الدولة الموحدية، وقد شاركوا في بعض حركات التمرد ضد الدولة الموحدية، ونذكر من ذلك مشاركتهم في الثورة التي قادها بنو غانية^{vi} ضد دولة الموحدين، حيث تمكن علي بن غانية بمساعدة قبائل بني هلال وبني سليم كقبائل جشم ورياح والأبئج من السيطرة على بلاد الجريد وطرابلس، وقد أرهقت هذه الثورات الدولة الموحدية، ولم تتمكن من القضاء عليها نهائيا إلا في سنة 1233/631م، وأما قبيلة زغبة فقد تحالفت مع الموحدين. (ابن خلدون، 1988، ج6، ص ص255-262)..

4.1.4 إعانة الدولة الموحدية في جهاد نصارى الأندلس:

يذكر ابن الأثير أنه بعد أن فرغ أمير دولة الموحدين عبد المؤمن بن علي من أمر المهديّة -بعد تحريرها من الاحتلال النورماني- وأراد العودة إلى مراكش جمع أمراء القبائل الهلالية من قبائل بني رياح الذين كانوا بإفريقية (المغرب الأدنى)، وطلب منهم إرسال عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والشجاعة يجاهدون في سبيل الله لقتال الصليبيين في الأندلس، وبعد تمرد هاته القبائل، وهزيمتها من طرف عبد المؤمن بن علي الموحي تمكن من تجهيزها لجهاد نصارى الأندلس في سنة 554هـ/1159م، وعادت هذه القبائل إلى الطاعة ولم يبق من أمراء هذه القبائل خارجا عن طاعته إلا مسعود بن زمام، وطائفته في أطراف البلاد (ابن الأثير، 1997، ج9، ص ص262-263). وأما رواية المراكشي فيذكر أنه كتب إلى قبائل بني هلال رسالة يستنفرهم إلى الغزو بجزيرة الأندلس، فاستجاب له منهم جمع ضخم؛ فلما

^{vi} - هم من بقايا دولة المرابطين. أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص252.

الدكتور: مرزاق بومداح

أراد الانفصال عن الجزيرة رتبهم فيها، فجعل بعضهم في نواحي قرطبة، وبعضهم في نواحي إشبيلية مما يلي مدينة شَريش وأعمالها؛ فهم بها باقون إلى وقتنا هذا -وهو سنة 621هـ/1224م-، وقد انتشر من نسلهم بتلك المواضع خلق كثير...". (المراكشي، 2006، ص ص166-167).

ولما عزم أمير دولة الموحدين يوسف بن عبد المؤمن (558-580هـ/1163-1184م) على الجهاد في الأندلس في عام 566هـ/1170م استدعى القبائل الهلالية وحثهم على المشاركة، فلبوا النداء كما يذكر ابن صاحب الصلاة بعشرة آلاف فارس، ولما قرر يوسف بن عبد المؤمن الموحي معاودة الجهاد في الأندلس في سنة 580هـ/1184م أجابته القبائل الهلالية وغيرها من القبائل العربية كما يذكر ابن عذارى بمائة وثلاثين ألف بين فارس وراجل، وكان للقبائل الهلالية دور كبير في الانتصار الذي أحرزه المنصور الموحي في معركة الأرك ضد مملكة قشتالة في عام 591هـ/1195م، وجعل المنصور الموحي لقيادة القبائل الهلالية جرمون بن رياح، وفي هذا يذكر ابن أبي زرع ما نصه: "فكان أول من جاز البحر قبائل العرب ثم قبائل زناتة، ثم المصامدة... (ابن صاحب الصلاة، 1987، ص361؛ ابن عذارى، 1985، ص158؛ ابن أبي زرع، 1972، ص ص22-227).

4. 1. 5 اضطراب أحوال الدولة الحفصية:

بعد أن سيطرت قبيلة رياح الهلالية على مناطق الهضاب والصحاري في جنوب قسنطينة، أصبحت مناطقهم مأوى للخارجين عن الدولة الحفصية، وكانت الدولة تضطر لشن الحملات العسكرية لتأديبهم، ومثال على ذلك قيام المستنصر الحفصي أبو عبد الله محمد (647-675هـ/1249-1277م) بقتال قبيلة بني رياح لمبايعتهم أخاه إبراهيم، وتمكن من هزيمتهم وقبض على بعض زعمائهم وقام بقتلهم، وكان ذلك في سنة 666هـ/1267م، واضطر بنو رياح إلى الالتجاء إلى يغمراسن أول ملوك

الهجرة الهلالية إلى بلاد الشرق الجزائري دوافعها وآثارها السياسية والاجتماعية

(القرن 5-9هـ/11-15م)

بني زيان فأمدهم بالسلاح والخيول، وتمكنوا مرة أخرى أن يتقدموا إلى الزاب وملكوا جبل الأوراس، واضطرت الدولة الحفصية إلى مهادنتهم، والاقرار بما استولوا عليه من أراضي في عهد السلطان الحفصي إبراهيم بن أبي زكريا (676-683هـ/1268-1284م). (سجيني، 135؛ ابن أبي دينار، 1386، ص ص 135-136؛ ابن صاحب الصلاة، 1987، ص 360)، ويصف لنا العبدري الذي زار مدينة قسنطينة في 688هـ/1289م حالة هذه المدينة التي كانت تتبع الدولة الحفصية بقوله: "ثم وصلنا إلى البلد الذي نشفت الخطوب معينه، ... جبر الله صدعها، وكفاها من نوائب الدهر ما واصل قرعها، وهي مدينة عجيبة حصينة، غير أنها لخطوب الدهر مستكينة، قد ذبلت ببوارح الغير، وفوادح الضرر رياضها... (العبدري، 2005، ص 94). وهذا لا يعني أن القبائل الهلالية هي المسؤولة لوحدها عن هذه الفوضى، فضعف الدولة الحفصية، ودخول رجالها في الصراع حول تولي الحكم... إلخ كان أيضا من أسباب تلك الفوضى والخراب الذي حل بمدينة قسنطينة في تلك الفترة.

4. 2 الآثار الاجتماعية:

من أهم الآثار الاجتماعية التي خلفتها الهجرة الهلالية نحو الشرق الجزائري نذكر

ما يلي:

4. 2. 1 انتشار ظاهرة الحرابة والخوف وانعدام الأمن:

كانت للهجرة الهلالية نحو بلاد الشرق الجزائري أن أحدثت أضرارا فعلية بهاته المناطق، وإن كانت درجاتها مختلفة بين أقطار المغرب الإسلامي، وقد أدى ذلك إلى انتشار الخوف والهلع، وهذا ناتج عن اضطراب أحوال المسالك بالنسبة للتجار والمسافرين، مما أدت الحاجة إلى استعمال الجند والعسس في تنقلاتهم ورحلاتهم. (خلفات، 2020، ص 135).

لقد ساءت أحوال الطرق البرية بسبب قلة الأمان، وهذا ما تبرزه العديد من المصادر ككتب الرحلات والمناقب والنوازل، فأصبح المسافرون لا يجروون على الحركة إلا إذا توفرت شروط السلامة. (خلفات، 2020، ص136)، وطرحت مسألة الحرابة مع ازدياد عمليات النهب والغصب، حتى عم الخوف في المسالك، وذكر لنا الونشريسي إحدى قضايا الحرابة بقوله: "وسئل الإمام أبو عبد الله بن عرفة رحمه الله عن قضية الديلم وسعيد رباح وسؤند وبني عامر أمراء المغرب الأوسط، سنة 796هـ.... فكتب إليه بما نصه ... جماعة في مغربنا من العرب، تبلغ ما بين فارسها وراجلها قدر عشر آلاف أو تزيد، ليس لهم إلا الغارات، وقطع الطرقات على المساكين، وسفك دمائهم، وانتهاب أموالهم بغير حق ويأخذون حرم الإسلام أبكارا وثيبا، قهرا وغلبة،... فأجاب: (الونشريسي، 1981، ج6، ص ص153-156).

4. 2. 2 المصاهرة وتعريب بلاد المغرب الإسلامي:

كان للأثر الذي تركه هجرة عشرات الآلاف من العرب الأقحاح إلى بلاد المغرب أن أدى ذلك إلى تعريبه إنسانا ولسانا، فقد كانت الهجرة استيطانية، ورغم ما كانوا يثرونه من رعب بين السكان البربر والعرب الذين بدأ الاختلاط يجمعهم على صعيد واحد، فقد كانوا يصاهرونهم ويتعايشون معهم، وقد بدأت المصاهرة من رجال الدولة حينما كان بعضهم يزوج ابنته من سادة هؤلاء العرب الوافدين، ثم إن الخشية منهم كانت تدفع إلى الإصهار إليهم، ومع الزمن اندمجوا في أمة واحدة، فأثرت الأجيال الجديدة منهم في تكوين مجتمع مختلط، لم يلبث أن انصهر في مجتمع عربي بربري تبر فيه العرب وتعرب فيه البربر، وما تزال إلى الآن قبائل تحمل لقب الهلالي والسليبي والسلمي. (غلاب، 2006، ج1، ص183؛ دغفوس، 2005، ص214).

الهجرة الهلالية إلى بلاد الشرق الجزائري دوافعها وأثارها السياسية والاجتماعية

(القرن 5-9هـ/11-15م)

وكان لسان القبائل الهلالية مضري، حافظوا عليه وبدواتهم في المفردات والتراكيب ووجوه البلاغة وأساليب الخطاب، ويذكر الميلي أن الهلاليين لعله فسد لسانهم بالجزائر لاختلاطهم بالبربر، ويشهد ذلك أننا نرى اليوم عرب الصحراء القليلي الاختلاط بغيرهم أصح عربية وأقوم مخارج وحروف، وعرب السواحل المغمورين بالبربر أفسد نطقا بالحروف، وأردى لغة، ومع ذلك فالهلاليون أثروا من حيث اللغة في البربر أكثر مما تأثروا بهم. (ابن خلدون، 1988، ج1، ص767؛ الميلي، د. ت، ج2، ص189).

وتغلغلت اللهجة الهلالية في الضواحي والبوادي والأرياف، وهذا بحكم المجاورة وعلاقتهم معهم، وازداد انتشار اللغة العربية بالاحتكاك والمصاهرة، وأخذت اللهجة البربرية بالتقلص ويتوارى ظلها في الجبل، ومن الأدلة على ذلك انتقال قبائل هوارة القاطنة بتبسة إلى اللسان العربي حيث نسوا رطانتهم، وكذلك انتقلت قبيلة ولهاصة التي كانت تقيم ببونة إلى اللسان العربي الهلالي ونسوا رطانتهم البربرية، وكن لمجاورة قبيلة كتامة بين قسنطينة وبجاية إلى انتقالهم لسان العربي، وأدى استقرار بطون عياض من الأثيغ بجوال قبيلة عجيسة بضواحي القبعة إلى تأثرهم باللهجة الهلالية. والجدير بالذكر أن الشرق الجزائري كان الأكثر تفاعلا بين العرب والبربر لانتشار العرب في تلك المجالات منذ منتصف القرن 5هـ/11م، بينما الأجزاء الغربية من الجزائر فقد تأخر الانتشار إلى غاية القرن 6هـ/12م. (حملاوي، 2021، ص51).

4. 2. 3 المسكن:

لما كانت القبائل الهلالية من البدو الطواعن فكانوا يسكنون بيوتا يستخفونها يوم ظعنهم، وبالتالي انتشرت الخيام في أنحاء بلاد المغرب، ويذكر روجي إدريس أن سهول بلاد المغرب الإسلامي قد تغطت بالخيام، وكان ذلك إثر الهجرة الهلالية،

الدكتور: مرزاق بومداح

وكانت تلك الخيام تشبه الخيمة المعروفة في عصرنا الحالي، في حين هجر كثير من الناس أكوأخهم على الأقل في بداية الزحف الهلالي، قبل أن تحصل تسوية بالتراضي بين المقيمين والرحل. (ابن خلدون، 1988، ج1، ص330؛ الميلي، ج2، ص188؛ روجي إدريس، ج2، ص213).

4. 2. 4 اللباس:

كانوا يتخذون اللباس من الوبر والصفوف والشعر، ويذكر ابن خلدون أن القبائل الهلالية قد تأثرت بطريقة لباس قبيلة زناتة، نظرا لتشابه طبيعة حياة القبائل الهلالية مع القبائل الزناتية باعتبارهما معا من القبائل البدوية. (ابن خلدون، 1988، ج1، ص17؛ الميلي، ج2، ص188).

4. 2. 5 العادات والتقاليد:

من بين العادات التي نقلها بنو هلال أثناء هجراتهم نحو المغرب نقل النساء معهم أثناء الحرب حتى تزداد شجاعتهن ويقل خوفهن، فيقاتلون أعدائهن بكل ما أتوا به من قوة، وكانوا يحملون نساءهم على هودج كالسلاسل تغطى بزرايبي جميلة جدا، وهذا الهودج لا يسع إلا امرأة واحدة. وكان من عادة نساء بني هلال أنهن قبل الزفاف إلى أزواجهن، يخضبن بالحناء وجوههن وصدورهن وأذرعهن وأيديهن إلى رؤوس الأصابع، لأن ذلك مستحسن عندهن، وقد نقلوا هذه العادة إلى بلاد المغرب الإسلامي، ولم تكن معروفة لديهم من قبل، غير أن الحضريين وأشراف البلاد لم يتبعوا هذه العادة، بمعنى أن التأثير اقتصر على عامة الناس من الأرياف والبادية.

الهجرة الهلالية إلى بلاد الشرق الجزائري دوافعها وأثارها السياسية والاجتماعية

(القرن 5-9هـ/11-15م)

(الوزان، 1983، ج1، ص63). ونقل الهلاليون بعض الأخلاق بما فيها من حسنات وسيئات كالجود والشجاعة وعزة النفس ورفض الظلم، وحفظ العهد وحسن الجوار والاعتراف بالجميل والتمدح بالغارة وبعض الصنائع والحرف، وقد تأثروا بالبربر فنبت القاطنون بالنواحي الخصبة حياة الغارة والفتن. (الميلي، د. ت، ج2، ص190).

5. الخاتمة:

يمكننا القول أن التأثير الهلالي بالشرق الجزائري على الرغم من الخراب والتدمير الذي لحق به المغرب الإسلامي والذي نتج عنه ضعف الدولة الزيرية وانهارها، وتقلص مساحة الدولة الحمادية، وانتشار ظاهرة الحرابة واللصوصية، وانعدام الأمن، وقيامهم ببعض حركات التمرد والثورة ضد الدول القائمة آنذاك، إلا أنه لا يمكننا إغفال الجوانب الإيجابية الناتجة عن هذه الهجرة الهلالية، ونذكر منها إعانة بني هلال للدولة الموحدية في جهادها ضد الممالك النصرانية بالأندلس، وفي نشر اللغة العربية وفي تعريب اللسان البربري.

ومن أهم التوصيات في هذا المجال نذكر ما يلي:

-إعادة النظر في كتابة تاريخ الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب الإسلامي، والاعتماد على المصادر التاريخية الصحيحة التي تتميز بالدقة والموضوعية دون الوقوع في فخ الكتابات الاستشراقية العنصرية والهدامة.

-الدعوة إلى عقد ملتقى دولي، والتطرق إلى موضوع الهجرة الهلالية نحو بلاد المغرب الإسلامي حيث يشارك فيه الباحثون من أساتذة ودكاترة وطلبة دكتوراه من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، فيتدرسون هذا الموضوع بشكل أوسع، وتناقش وجهات النظر المختلفة بكل موضوعية ونزاهة، وتستخلص أهم الدروس والعبر.

الدكتور: مرزاق بومداح

-خطورة التفرقة العنصرية التي يسعى إلى بثها بعض المستشرقين وأتباعهم، من خلال الزعم القائل بأن القبائل الهلالية قد دمرت بلاد المغرب الإسلامي، وقامت باحتلال بلاد البربر، والحقيقة التاريخية تؤكد لنا أن العرب والبربر قد أصبحوا أمة واحدة منذ الفتح الإسلامي بعد اعتناقهم للدين الإسلامي، وهذا مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ (سورة الأنبياء، الآية: 92)، وأيضا من خلال عمليات المصاهرة التي تمت بين العرب والبربر، وهذا منذ مجيء الفينيقيين العرب في أواخر القرن 12 قبل الميلاد، مروراً بالفتح الإسلامي في القرن 1هـ/7م إلى الهجرة الهلالية في القرن 5هـ/11م، وإلى يومنا هذا.

6. قائمة المراجع:

الكتب:

- 1- الأشعري علي بن إسماعيل، 1426هـ/2005م، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: نعيم زرزور، ط1، المكتبة العصرية.
- 2- ابن الأثير علي، 1417هـ/1997م، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي.
- 3- بورويبة رشيد، 1397هـ/1977م، الدولة الحمادية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- 4- ابن الجوزي عبد الرحمن، 1412هـ-1992م، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية.

الهجرة الهلالية إلى بلاد الشرق الجزائري دوافعها وآثارها السياسية والاجتماعية

(القرن 5-9هـ/11-15م)

- 5- الجيلالي عبد الرحمن، 1384هـ/1964م، *تاريخ الجزائر العام*، ط2، بوداوا-الجزائر، الشركة الجزائرية.
- 6- ابن دريد محمد، *الاشتقاق*، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، بيروت-لبنان، دار الجيل.
- 7- ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم، 1386هـ، *كتاب المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس*، ط1، تونس، مطبعة الدولة التونسية.
- 8- دغفوس راضي، 1425هـ/2005م، *دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط*، ط1، بيروت-لبنان، دار الغرب الإسلامي.
- 9- الهمداني الحسن بن أحمد، 1884م، *صفة جزيرة العرب*، ليدن-هولندا، مطبعة بريل.
- 10- الوزان الحسن بن محمد، 1983م، *وصف إفريقيا*، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، بيروت-لبنان، دار الغرب الإسلامي.
- 11- الونشريسي أحمد بن يحيى، 1401هـ/1981م، *المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا وأندلس والمغرب*، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- 12- ابن أبي زرع علي بن عبد الله، 1972م، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس*، الرباط-المملكة المغربية، صور للطباعة والوراقة.
- 13- ابن حزم علي بن أحمد، 1403هـ/1983م، *جمهرة أنساب العرب*، تحقيق: لجنة من العلماء، ط1، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية.
- 14- ابن حماد عبد الله محمد، د. ت، *أخبار ملوك بني عبید وسيرتهم*، تحقيق: التهامي نقرة وعبد الحلیم عویس، القاهرة-مصر، دار الصحوة للنشر والتوزيع.

الدكتور: مرزاق بومداح

- 15- الطبري محمد بن جرير، 1387هـ، تاريخ الرسل والملوك، ط2، بيروت-لبنان، دار التراث.
- 16- الطمار محمد، 2010م، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، بن عكنون-الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية.
- 17- طقوش محمد سهيل، 1428هـ، 2007م، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقيا ومصر وبلاد الشام (297-567هـ/910-1171م)، ط2، بيروت-لبنان، دار النفائس.
- 18- اليماني محمد بن مالك، 1939م، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، نشره وصححه وراجع أصله: عزت العطار، القاهرة-مصر، مطبعة الأنوار.
- 19- المقرئ أحمد بن علي، د. ت، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال ومحمد حلبي محمد أحمد، مصر، لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- 20- المراكشي عبد الواحد بن علي، 1426هـ/2006م، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، ط1، صيدا، بيروت-لبنان، المكتبة العصرية.
- 21- العبدري محمد بن محمد، 1426هـ/2005م، رحلة العبدري، حققها وقدم لها: علي إبراهيم كردي، ط2، دمشق-سوريا، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع.
- 22- ابن عذاري أحمد بن محمد، 1983م، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج.س كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط3، بيروت-لبنان، دار الثقافة.
- 23- الأندلس والمغرب قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط1، بيروت-لبنان، دار الغرب الإسلامي.
- 24- عويس عبد الحليم، 1411هـ/1991م، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط1، القاهرة-مصر، دار الصحوة للنشر والتوزيع.

الهجرة الهلالية إلى بلاد الشرق الجزائري دوافعها وآثارها السياسية والاجتماعية

(القرن 5-9هـ/11-15م)

25- ابن صاحب الصلاة عبد الملك، 1987م، *المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين*، تحقيق: عبد الهادي التازي، ط3، بيروت-لبنان، دار الغرب الإسلامي.

26- ابن قتيبة، عبد الله، 1992، *المعارف*، تحقيق: ثروة عكاشة، ط2، القاهرة-مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

27- روجي إدريس الهادي، 1992م، *الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10هـ إلى القرن 12م*، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، ط1، بيروت-لبنان، دار الغرب الإسلامي.

28- ابن خلدون عبد الرحمن، 1408هـ/1988م، *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*، تحقيق: خليل شحادة، ط2، بيروت-لبنان، دار الفكر.

29- ظهير إحسان إلهي، د. ت، *الإسماعيلية تاريخ وعقائد*، المملكة العربية السعودية، مكتبة بيت السلام.

30- غلاب عبد الكريم، *قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي*، 1426هـ/2006م، ط1، بيروت-لبنان، دار الغرب الإسلامي.

المقالات:

1- بومداح مرزاق، 2020، *العلاقات الحمادية المرابطية* (445-539هـ/1053/1144م)، *مجلة الباحث*، المجلد 12، العدد 01، ص ص 156-171.

الرابط الإلكتروني للمقال: <https://asjp.cerist.dz/en/article/109388>

2- بكوش فافة، 2018م، *الهجرة الهلالية ببلاد المغرب الإسلامي خلال القرن (05هـ/11م) وقائعها وتأثيراتها*، *مجلة القرطاس*، المجلد 02، العدد 01، ص ص 6-

14. الرابط الإلكتروني للمقال: <https://asjp.cerist.dz/en/article/274251>

الدكتور: مرزاق بومداح

3- بن عريب مصطفى، 2021، التوطين الهلالي بالمغرب الأوسط خلال العهد الحمادي من منتصف القرن 5هـ/11م إلى منتصف القرن 6هـ/12م (قراءة في طرق وأساليب التوطين وآثاره بتلول وصحراء المغرب الأوسط، مجلة البحوث التاريخية، المجلد 05، العدد 02، ص ص70-94. الرابط الإلكتروني للمقال:

<https://asjp.cerist.dz/en/article/179684>

4- خلفات كمال، 2020م، أثر هجرة العرب الهلالية إلى المغرب الأوسط على الجانبين الاقتصادي والاجتماعي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 10، العدد 01، ص ص123-151. الرابط للإلكتروني للمقال:

<https://asjp.cerist.dz/en/article/125713>

الرسائل:

1- بلمداني نوال، 1434-1435هـ/2013-2014م، نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين 4-5هـ/10-11م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة، الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، الجزائر.

2- حملاوي هدى، 1441-1442هـ/2020-2021م، العرب الهلالية في المغرب الأوسط وعلاقتهم بالمجال والسلطة والمجتمع (عهد الدولة الحمادية أنموذجا)، مذكرة ماستر في التاريخ الإسلامي، جامعة المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، المسيلة-الجزائر.

3- سجينى فايزة، 1400-1401هـ/1980-1981م، غزو بني هلال وبني سليم للمغرب، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ الإسلامي، مكة المكرمة-السعودية.